علم المعاني في أمالي ابن الشجريّ
(٤٥٠ - ٥٤٢ هـ)

د. منيرة محمد فاعور(*)

لا تقتصر مسائل البلاغة على ما سطّره أئمة البلاغيين في كتبهم كعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ)، والسكّاكي (ت٦٢٦هـ)، والخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ). بل إنَّ أئمة النحويين كانت لهم نظراتٌ بلاغيةٌ في كتبهم النحويّة؛ فأبحاث التقديم والتأخير، وأبحاث الحذف والاختصار وغيرها ضافية في كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ)، والمقتضب للمبرّد (ت٢٨٦هـ)، والأصول لابن السرّاج (ت٣١٦هـ).

وتلقانا كتب الأمالي النحوية بفيض من الشّذرات البلاغية تضافرت مع المسائل النحوية. وهذه القضايا البلاغية في كتب الأمالي تستحق دراسةً وصفيةً مقارنة بما أتى به البلاغيون أنفسهم، لذلك جاء هذا البحث، وتوجه لدراسة مباحث علم المعاني في أمالي ابن الشجري.

وابن الشجري غني عن التعريف[1]، أمَّا كتابُه الأمالي فيدل اسمه على موضوعه، وقد جعلَه ابن الشّجريّ في (٨٤) مجلساً، كان ينتقل فيها بين فروع

(*) أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة دمشق.

(١) انظر ترجمته في نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ص٤٠٤ - ٤٠٦، وإنباه الرواة ٣/ ٣٥٦- ٣٥٧، ومعجم الأدباء ٥/ ٥٩٢ - ٥٩٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٤٧، وبغية الوعاة ٢/ ٣١٣.

العربية انتقالاً عفويّاً، وقد جاءت معظم مباحث البلاغة مبعثرة منثورة هنا وهناك في أنحاء كتابه، يحتاج الدارس فيها أن يطوف بين صفحاته لِلمِّ شعث المتفرق منها، وتجميع المادة المتصلة بموضوع واحد في مكان واحد، حتى يستطيع أن يكوّن فكرة متكاملة عن جهوده في الدرس البلاغي.

والذي يعنينا من هذا كلّه الألوان البلاغية التي تناولها في علم المعاني، وهل فيها من الجدة والطرافة ما يضيف به إلى البلاغة شيئاً ساعد على تطورها، أو أنه اكتفى بترديد آراء السابقين، وتوقف حيث انتهوا؟

هذه الأسئلة والاستفسارات سيأتي الجواب عنها من استعراض جهوده البلاغية، ومقارنته بلغوي بارز هو ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في كتابه (الصاحبي)، ليُبين مقدار إضافات ابن الشجري إلى البحث البلاغي، ثم سيُوازن بما استقرت عليه البلاغة حتى القرن السابع الهجري على يد السّكّاكي (ت ٦٢٦هـ)، ليُبين بدقة مدى اقتراب ابن الشجري مما انتهت إليه البلاغة عند هذا العالِم.

بحوثه في علم المعاني:

أولاً- الخبر:

ونستهل الحديث عن الخبر عند ابن الشجريّ بتعريفه له، يقول: هو«أن يُخبر المتكلّم غيره بما يُفيده معرفته، وحدّه دخولُ التصديق والتكذيب فيه، وهو على ضربين: موجَبٌ وغيرُ موجَب، فالموجب: ما عَرِيَ من أدوات النفي، نحو زيد منطلق، وفي الدار زيدٌ،...وغير الموجب ما كان غير ذلك نحو قوله تَعَالَىٰ:﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[ص: ٨]»، وابن الشجري لم يقف عند الحدود النحوية لأسلوب الخبر، بل امتد به البحث إلى الكشف عمّا ينطوي تحت ظلال هذا الخبر من لطائف بلاغية، فذكر من ذلك:

أ- الأمر: والأمر عند ابن الشجري يتخذ ثلاثة أشكال:

الأول: ما يحتّمه اتفاق علماء الإسلام على أنه خبرٌ لفظاً، وأمر معنى، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٨]

وفي هذا يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يُخبر عنه موجوداً »[٢].

وابن الشجري هنا لا يقنع بمثال واحد، بل يسرد شواهد لا تنتهي اعتمد في توجيهها بلاغيّاً على ما ذُكر.[٣]

الثاني: والشكل الثاني الذي يتخذه خروج الخبر إلى معنى الأمر لديه أن يكون أمراً خالصاً يقتضيه السياق، ويفرضه المعنى العام للجملة. يقول: «ومن الخبر الذي أُريد به الأمرُ قولهم: (أمكنك الصيدُ) أي ارْمِهِ، وقولهم: (اتَّقى اللهَ امرؤٌ وصنع خيراً) أي ليتقِ اللهَ وليصنَعْ خيراً» [٤].

والشكل الثالث: الخبر الذي خرج لمعنى الأمر ليحقق فائدة أخرى تستتر خلف هذا الأمر، وهذه الفائدة قد تكون: «تأديباً نحو قوله تعالى:﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور :٥١] معناه قولوا سمعنا قولك، وأطعنا حُكمك. وقد تكون إباحة نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [النور :٦١]

(٢) الكشاف ١/ ٤٤٠.

(٣) انظر هذه الشواهد وتعقيباته عليها في الأمالي ١/ ٣٩٣.

(٤) الأمالي ١/ ٣٩٣.

يقول: معناه: كلوا مع هؤلاء، وليأكلوا معكم، وكلوا من هذه البيوت، ويشير إلى معنى الندب في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] يقول: « معناه: افعلوا بهنّ من المعروف مثلَ ما يلزمهُنّ لكم ... » (٥).

ب- الدعاء: يتناول غرض الدعاء بقوله: « ومن الخبر الذي أُريد به الدعاء قولهم:(غفر الله لك، ورحم الله فلاناً، ويرحم الله فلاناً) لو كان هذا خبراً على ظاهره، لكنت موجباً لرحمة الله ومغفرته للمدعوّ له، وليس الأمر كذلك، وإنما قصدت الرغبة إلى الله في إيجاب المغفرة والرحمة له ...» ثم ينقل شواهد أخرى اعتمد في توجيهها على ما سبق.(٦)

جـ - النهي: ويشير إليه بقوله: «ومن الخبر الذي أريد به النهي قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا [النور – ١٧]. أي لا تعودوا».

د- الإغراء: وعند حديثه عن هذا الغرض ينقل شواهد كثيرة يحللها تحليل العالم العارف بدقائق اللغة وخفاياها وأسرارها مبيِّناً موضوع الشاهد، ووجه الاستشهاد عليها. يقول:« ومما جاء فيه لفظُ الخبر بمعنى الإغراء، قولُ عمر رضوان الله عليه: (أيُّها الناسُ كتب عليكم الحج والعُمرة) معناه: عليكم بالحج والعمرة، والزموا الحج والعمرة ».(٧)

هـ- الوعيد : ويُعبّر عن هذا الغرض بقوله: ومما جاء فيه الوعيدُ بلفظ الخبر في التنزيل قوله تعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] (٨)

(٥) انظره نفسه ١/ ٣٩٤.

(٦) انظر هذه الشواهد وتعقيباته عليها فيه نفسه ١/ ٣٩٥.

(٧) الأمالي ١/ ٣٩٦-٣٩٧، وانظر شواهد أخرى فيه نفسه ١/ ٣٩٧-٣٩٩.

(٨) نفسه ١/ ٣٩٩.

وابن الشجري يلتقي مع ابن فارس في تعريف الخبر، وفي الإشارة إلى بعض الأغراض البلاغية التي ذكر منها: التعجب والتمني والإنكار والنفي والأمر والنهي والتعظيم والدعاء والوعد والوعيد والإنكار والتبكيت. وتشعّب ابن فارس من ذلك لقضايا أخرى تتعلق بالخبر، مثل استعماله بمعنى الشرط والدعاء والطلب(٩).

نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥]

يقول: « فظاهره خبر، والمعنى إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا»(١٠).

وإن كنّا نلمس نفساً أعمق، وشرحاً أوفى، واستدعاء لآراء بعض العلماء عند ابن الشجري، ومن الواضح ممّا جاء عند ابن فارس وابن الشجري في استعمال الخبر أنه يكشف عن المعاني الكثيرة التي يؤدّيها هذا الأسلوب زائدة على مفهومه اللغوي، وهذا الذي اعتمده البلاغيون المتأخرون، فها هو ذا السّكّاكي يذكر تعريفات السابقين له، ويتحدث عن أضرب الخبر الثلاثة، وغرضَيْ الخبر الأصليين، ثم يفصّل في خروجه عن أصل وضعه، فيشير إلى خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر(١١). لكن، مع كل هذا، لم يخض كثيراً في تلك اللطائف البلاغية كما فعل ابن الشجري وابن فارس.

ثانياً – الإنشاء:

لعل أبرز مجهود بذله ابن الشجري فيما يتعلق بالبلاغة العربية، هذا الباب الذي عقده في المجلسين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين لمباحث

(٩) انظر هذه الأغراض والأمثلة عليها في الصاحبي / ٢٨٩-٢٩١.

(١٠) انظره نفسه ص٢٩٠.

(١١) انظر مفتاح العلوم ص٢٥٤- ٢٦٤.

الإنشاء، فقد أفاد من دراسة أسلافه من علماء اللغة والبلاغة وغيرهم، واعتمد على استنتاجاته واستقراءاته، وجَمَعَ الشواهد الشعرية والنثرية بما حقق له إفراد باب متكامل في موضوع واحد، وأول هذه المباحث أسلوب الاستفهام.

أ – الاستفهام:

يُعدّ مبحث الاستفهام عند ابن الشجري من المباحث البلاغية المتكاملة في كتابه، ويعود ذلك إلى أسباب، منها:

١ – أنّه عرّفه وبيّن مسمياته بدقّةٍ في استخلاص المعنى اللغوي وربطه بالمعنى الاصطلاحي. يقول: «الاستفهام والاستخبار والاستعلام واحد؛ فالاستخبار: طلبُ الخبر، والاستفهام: طلب الفَهم والاستعلام: طلب العِلم .

٢ – حديثه عن همزة الاستفهام والاستشهاد عليها، وبيان ما اختُلف فيه من الشواهد على حذفها، وما اتُفق عليه(١٢).

٣– ثراء قائمة المعاني البلاغية المستفادة من الاستفهام، فقد ذكر منها: (الأمر): وهنا يحشد مجموعة من الشواهد القرآنية والشعرية، منها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:١٩]، أي انتهوا، ومثله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور:٢٢] أي أحبو هذا،﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣]. أي تذكروا :﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللهِ﴾[الحديد : ١٦] (١٣).

وابن الشجري يُطنب في تحليل الاستفهام بمعنى الأمر، فينبه على دقائق في

---

(١٢) نفسه ١/ ٤٠٦– ٤٠٧.

(١٣) نفسه ١/ ٤٠٢–٤٠٣.

التحليل لم يلتفت إليها أصحاب البلاغة، وهي داخلة في صميم المعاني المستقاة من ظاهر أسلوب الاستفهام، وابن الشجري حين يدُلنا عليها لا يحكم إحساسه فحسب، وإنما يقدّم من الأسباب ما يقنعنا برأيه.

فالاستفهام لديه يخرج إلى معنى الأمر، وهذا الأمر يتضمن معنى التنبّه، وهذا التنبه هو أيضاً أنواع تُفهم تبعاً للسياق، وهنا يُورد مجموعةً من الشواهد القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[الفرقان:٤٥] فهي «بمعنى تنبّه على هذا، واصرف فكرَك إليه و اعجَبْ منه» (١٤).

ويستدل على الاستفهام بمعنى الأمر للتنبيه على قضية أخرى هي (الشكر) ، يقول: «ويكون تنبيهاً على الشكر كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:٦]» (١٥)، ويشير إلى غرض التوبيخ بقوله: «ومن الاستفهام الذي ورد بمعنى الأمر، والمراد به التوبيخ قوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء:٩٧] أي هاجروا»(١٦).

وهكذا يتأكد أن الاستفهام عند ابن الشجري لم يبحث فيه المتكلمُ عن إجابة محددة؛ لأن المقصود ليس الاستفهام الحقيقي بل غرضه تصور ما يتحدث عنه فأخرجه عن حقيقته إلى غرض آخر، هو الأمر، وهذا الأمر يستتر وراءه أغراض أخرى دقيقة، كما رأينا، وهذا ما زاده إيحاءً جماليّاً، وأكسبه حسناً فريداً.

ثم يشير إلى أغراض بلاغية أخرى، يتناولها جميعاً بالدرس والتحليل

(١٤) نفسه ١/ ٤٠٣ .

(١٥) نفسه ١/ ٤٠٣.

(١٦) نفسه ١/ ٤٠٤.

والإكثار من التدليل عليها بالشواهد المناسبة من القرآن الكريم والشعر، فيذكر من هذه الأغراض: (الوعيد) نحو قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾[الزخرف:٥]، يقول: معناه: أفنترككم ولا نُذكّرُكم بِعقابنا؟، و(الحث) نحو قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة:٢٤٥]، و(التهدّد على جهة التنبيه)، كقوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[المرسلات:١٦] إلى آخر القصة، و(التحذير) كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٢٥][١٧].

ويشير إلى غرض(التوبيخ) فينقل أمثلة كثيرة، منها قوله تعالىَ :﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] [١٨] .

وهكذا يسير ابن الشجري في تحليله للمعاني المستقاة من ظاهر الاستفهام فيذكر كذلك : التسوية، والنفي، والتعجب، والعرض،[١٩] وإن كان يرى أن الأَوْلى بالعرض أن يكون طلباً لا أن يكون استفهاماً[٢٠]، ويستدل على كل ذلك بأمثلة كثيرة من المنثور والمنظوم.

٧- إفاضته في الكلام على استعمال الاستفهام بمعنى الخبر، ثم تفصيله في نوعي الخبر في حالتي الإثبات والنفي، يظهر ذلك واضحاً في تأويله لقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨]، فيقول موجّهاً الاستفهام في هذا الموضع: «أي جهنم مثواهم... و﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦]، المعنى: الله يكفي عبده ... »[٢١].

(١٧) الأمالي ١/ ٤٠٩.

(١٨) نفسه ١/ ٤٠٣-٤٠٤ ، وانظر أمثلة أخرى على هذا الغرض فيه نفسه.

(١٩) انظر إشاراته إلى هذه الأغراض فيه نفسه على الترتيب ١/ ٤٠٦،٤٠٧،٤٠٩.

(٢٠) نفسه ١/ ٤٠٩ – ٤١٠.

(٢١) نفسه ١/ ٤٠٤- ٤٠٥.

وابن فارس أيضاً درس خروج أسلوب الاستفهام عن أصل وضعِه، ونظرةٌ سريعة إلى ما جاء في كتابه (الصاحبي) تؤكد أن الدرس البلاغي لأسلوب الاستفهام قد تطور كثيراً على يدي ابن الشجري، إذ وجدنا ابن فارس يعرّفه بقوله:« الاستخبار: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبِر،وهو الاستفهام»(٢٢)، مقصياً بذلك مسألة الصدق والكذب التي تحدّ هذا الأسلوب، ولمسنا أيضاً أن ابن الشجري قد فرق بين مصطلحين متشابهين لمصطلح الاستفهام وهما: الاستخبار والاستعلام(٢٣)،في حين اكتفى ابن فارس بإظهار الفرق بين الاستفهام والاستخبار(٢٤). يضاف إلى ذلك أنه لم يتناول أدوات الاستفهام ضمن هذا المبحث (٢٥)، لكن مع هذا فإن الباحث في هذه الأدوات يحتاج لجمع المتناثر منها حتى يكوّن فكرة دقيقة عنها لكن، يُسجل هنا أن ابن فارس عرض طائفة من الأغراض البلاغية التي يحققها أسلوب الاستفهام كان منها: التعجب، والتفخيم، والتوبيخ، والتفجع... وغيرها، ثم تحدث عن وضع الاستفهام في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء، وعرض لحذف ألف الاستفهام (٢٦)، وهذه أمور مهمة في الدرس البلاغي.

لكننا مع كل هذا لم نجد لدى ابن فارس ذاك العمق في الشرح والتحليل وكثرة التدليل، والخوض الموسع في استعمال الاستفهام بمعنى الخبر كالذي وقعنا عليه عند ابن الشجري.

---

(٢٢) الصاحبي ص٢٩٢ .

(٢٣) انظر الأمالي ١/ ٤٠٠.

(٢٤) الصاحبي ص ٢٩٢ .

(٢٥) انظر هذا الباب (حروف المعاني) فيه نفسه ص ١٢٥-١٧٨.

(٢٦) نفسه ص ٢٩٢-٢٩٧.

ونظرة أخرى إلى ما جاء عند السكّاكي تفيدنا أن ابن الشجري اقترب كثيراً من الصيغة النهائية التي استقرت عليها دراسة هذا المبحث، وإن كان يُسجل للسكاكي حديثه الموسّع عن الفرق بين الاستفهام بـ(هل) والاستفهام بـ(الهمزة)، وكلامه على أدوات الاستفهام وما يختص منها بطلب التصور وما يختص منها بطلب التصديق، والبحث في أنواع الخبر...[٢٧]. ولكن يُسجل أيضاً أن السكاكي لم يُثبت تعريفاً جامعاً مانعاً لأسلوب الاستفهام، وكل ماجاء لديه هو شرحٌ لهذا الأسلوب، فقد بدأ بحثه فيه بعرض أدواته ، ثم ختمه بالحديث عن لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام[٢٨].

وهذا يؤكد من ناحية أخرى أن ابن الشجري قد وعى الكثير من معارف سابقيه وأضاف إليها من عنده، مما كان له تأثيره في الدراسات البلاغية.

ب- الأمر:

وفي دراسته لأسلوب الأمر نراه يدرسه دراسة العالم المتأني المعنيّ بتحديد الماهيات، وعرْض الأنواع، وإثرائها بالتحليل والتدليل، ولذلك فهو يُعدّ مبحثاً شبه متكامل، ومردُّ ذلك إلى أسباب منها:

١- أن بحثه لم يأتِ نُتفاً مبعثرة هنا وهناك، بل أفرده بمبحث مستقل[٢٩] ألحقه بمبحث الاستفهام.

٢- أنّه عرّفه، وبيّن معانيه تبعاً للرتبة، ثم أشار إلى صيغتين من صيغه، وهما: افعل للمواجه، وليفعل للغائب.

---

(٢٧) انظر حديثه عن هذه الأمور في مفتاح العلوم ص ٤١٨-٤٢٠.

(٢٨) انظر مفتاح العلوم ص٤٢٧.

(٢٩) انظر هذا المبحث في الأمالي ١/ ٤١٠- ٤١٤.

وبذلك أغفل المصدر النائب عن فعله، واسم فعل الأمر.

٣- اهتمامه بإبراز المعاني التي يحتملها لفظ الأمر، فذكر من ذلك: الندب، والإباحة ، والمراد بالإباحة على حدّ تعبيره : إباحة الشيء بعد حظره، لذلك كان يسوق الشاهد مُثبتاً بما سبقه يقول: «... وكذلك قوله:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾[المائدة:٢]، بعد قوله: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة:٩٥] » (٣٠). ومنه الوعيد(٣١)، ويستدل عليه بشواهد كثيرة، منها: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت:٤٠]، والتأديب والإرشاد إلى أصلح الأمور وأحزمها . كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢] ، والإرشاد على غير إلزام كقوله: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[النساء:٣] (٣٢)، ويرد «الأمر للخضوع، كما كان دعاءً في نحو: اللهم اغفر لنا، وليرحم الله زيداً، وقول المذنب لسيده أو لِذِي سُلطانٍ: افعل بي ما شئت وابلُغ مني رضاك، تذللاً منه وإقراراً بذنبه...».

والتحدي كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[هود:١٣]، فلما عجزوا عن ذلك قال: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[يونس:٣٨] ثم يدعم حكمه بدليل آخر عندما يقول: يدلك على أن المعنى تبينُ عجزهم عن ذلك قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾[البقرة : ٢٤] (٣٣).

(٣٠) انظر هذه الأغراض وأمثلة أخرى عليها فيه نفسه ١/ ٤١١ -٤١٢.

(٣١) نفسه ١/ ٤١١.

(٣٢) انظره نفسه ١/ ٤١١-٤١٢.

(٣٣) نفسه ١/ ٤١٣.

وعلى هذا النمط يسير فيذكر: التنبيه على القدرة، والتخيير، والإباحة[٣٤]، وهو بعد هذا كلّه لا يغفل عن الإشارة إلى خروج الأمر إلى معنى الخبر، فيشير إليه، ويدرسه مبيّناً موضع الشاهد، ووجه الاستشهاد.[٣٥]

وقد ظهر تفوق ابن الشجري على ابن فارس في دراسة هذا الأسلوب فقد عرّفه ابن فارس بقوله: «الأمر عند العرب: ما إذا لم يفعله المأمور به سُمّي المأمور به عاصياً»[٣٦]، ثم أشار – وكما فعل ابن الشجري – إلى صيغتين من صيغه، وهما ما كانا بلفظ (افْعلْ) و(ليفعل)، ثم عرض طائفة من المعاني البلاغية، مكتفياً بالاستشهاد عليها بشاهد واحد في الغالب الأعم، فذكر غرض التوبيخ، والتلهيف، والندب، والتعجيز، والتعجب[٣٧] من غير كبير تدخل فيها، أو إكثار من الشواهد كما هي الحال عند ابن الشجري.

ولم يطرأ على هذا الأسلوب تطور واضح على يدي السّكّاكي؛ فقد عرّفه بقوله: «للأمر حرف واحد وهو اللام الجازم في قولك: ليفعلْ، وصيغ مخصوصة سبق الكلام في ضبطها في علم الصرف، وعدة أسماء ذُكرت في علم النحو»[٣٨]، ثم ذكر بعض الأغراض البلاغية ومقاماتها التي تتولد من قرائن الأحوال، فكانت لديه: الدعاء، والالتماس، والسؤال، والإباحة، والتهديد[٣٩]، واكتفى بذكر أمثلة عليها لا شواهد، بلا أي تعقيب أو تحليل. وشتّان ما بين رجل يذكر

(٣٤) انظر الغرض الأول فيه نفسه١/ ٤١٣، والغرضان الأخيران وردا فيه نفسه ٣/ ٧٠- ٧١.

(٣٥) نفسه ١/ ٤١٢.

(٣٦) الصاحبي ص ٢٩٨.

(٣٧) نفسه ص٢٩٨- ٣٠٢.

(٣٨) انظر مفتاح العلوم ص٤٢٨ .

(٣٩) انظره نفسه ص٤٢٨.

الأمثلة فقط ولا يزيد، ورجل كابن الشجري يذكر الشواهد، ويُنوّه بما فيها من معانٍ بلاغية، ويعقّب عليها بما يدل على سعة اطلاعه وتذوقه.

جـ- النهي:

لم يتوسع ابن الشجري في دراسة هذا الأسلوب كما فعل في المبحثين السابقين، ومع ذلك تُسجل له عدة أمور؛ منها: أنه أثبت له تعريفاً دقيقاً ، وحدّد صيغته، وبيّن رتبة الناهي عندما قال :« النهي هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة، وصيغته : لاتفعل ولايفعل فلان »[٤٠]،وهذه كلها قضايا جوهرية لا غنى لدارس البلاغة عنها. ثم يستدل على كل ذلك بشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فمن شواهد النهي للمُواجِه يذكر قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِّ إِلَهًا آخَرَ﴾[الشعراء:٢١٣]،ومن شواهد النهي للغائب يذكر: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢][٤١].

ثم يبيّن أن النهي قد يرد في لفظ التحريم، ولفظ الوعيد، ولفظ النفي، ولفظ الخبر[٤٢]، وهذه قضايا لا يُتوقف عندها عادة في البلاغة؛ لأن الاهتمام يُوجه نحو تلك اللطائف المستقاة من ظاهر معنى النهي، وقد وجدناه هنا غيرَ معنيٍّ بعرض تلك الأمور إلّا في موضع واحد، يذكر فيه معنى التنزيه، ويشترط له قيام الدليل[٤٣] .

أما جهد ابن فارس فيتمثّل في سطرين اثنين، فقد اكتفى بالقول: «فأمّا النهي

(٤٠) الأمالي ١/ ٤١٤ .

(٤١) نفسه ١/ ٤١٤ .

(٤٢) انظر هذه الأنواع وأمثلة عليها فيه نفسه ١/ ٤١٥ .

(٤٣) انظر معنى التنزيه فيه نفسه ١/ ٤١٤- ٤١٥.

فقولك: (لا تفعل)» [٤٤]، ثم استدل عليه بشاهد شعري بلا أي زيادة تذكر.

أما السكّاكّي فقد تناول بعض المعاني البلاغية المستفادة من هذا الأسلوب وبيّن مقاماتها بقوله: « ثم إن استُعمل النهي على سبيل التضرع، كقول المبتهل إلى الله: لاتَكِلْني إلى نفسي، سُمّي دعاء، وإن استُعمل في حقّ المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سُمِّي التماساً، وإن استُعمل في حقّ المستأذن سمّي إباحة، وإن اسُتعمل في مقام تَسَخُّط الترك، سُمي تهديداً»[٤٥]، ولم يستدل عليها بأي شاهد أو مثال؛ ثم ختم بحثه بالحديث عن اشتراك الأبواب الأربعة: التمني والاستفهام والأمر والنهي في تقدير الشرط بعده.

د- النداء :

بدأ ابن الشجري مبحث النداء باستعراض آراء السابقين[٤٦]، وعندما ينقل ابن الشجري هذا الكلام لا يدعه حتى يبين وجهة نظره فيه ويوفيه حقّه درساً وتحليلاً واستدلالاً، يقول: « وقد وجدت للنداء وجوهاً، أكثرُها لا تُخرجه عن كونه نداءً»[٤٧]. وهذه الوجوه يذكر فيها :

١ – «أن نداءك لله سبحانه في قولك: يا ألله يا رحمن يا رحيم، إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى، يكون خضوعاً وتضرُّعاً وتعظيماً». [٤٨]

٢ – أنه «قد يقتصر على ألفاظ المدح للمدعو، إذا كان قصدُك تعظيمه، ومرادك

(٤٤) الصاحبي ص٣٠٢.

(٤٥) انظر مفتاح العلوم ص٤٢٩.

(٤٦) انظر الأمالي ١/ ٤١٧ .

(٤٧) نفسه ١/ ٤١٨ .

(٤٨) نفسه ١/ ٤١٨ .

مدحَه ، كقولك: يا سيد الناس...». [٤٩]

٣- « وبحسب ذلك يكون ذمّاً للمنادى وتقصيراً به، وزرياً عليه كقولك : يا خُبث ، ويا أبخل الناس...، فالنداء في هذا الوجه داخل في حيِّز الخبر». [٥٠]

٤- ألمح إلى أن النداء يفيد التوكيد عند خروج صيغه عن أصل معناها من مخاطبة المتكلم إلى مخاطبة النفس والقلب.

٥- ويشير إلى أن النداء قد يوجه إلى من لم «يُقصد إسماعه، كغائب تكتب إليه تتشوقه أو تمدحه أو تذمّه، كقولك في مكتوبك: يا زيدُ، جمع الله بيني وبينك، أو تقول لميت تندبه: يا زيدُ، ما أجلَّ مصيبتنا بفقدك، ومناداة الديار والأطلال، والأوقات»[٥١].

٦- أمّا الوجه الآخر والمهم ، فهو حديثه عن المعاني البلاغية التي يحققها هذا الأسلوب، وقد نصّ على ذلك بقوله: «فهذه وجوه شتّى قد احتملها النداء، وإن كان في أصل وضعه لتنبيه المدعوِّ»[٥٢]. وهذه الأغراض ذكر منها: التحذير، والاستغاثة، والتوجّع والتأسّف، والتعجب. [٥٣]

وهكذا يتبين أن ابن الشجري فهم أن الجملة البلاغية في أساليب النداء أداة وهدف، والمتكلم بذلك ليس مجرّد مرسل لأدوات النداء وإنما هي، أي الجملة البلاغية، تعبير مثير عن أفكاره ومشاعره، وبذلك أصبح النداء في دلالته وحضوره البلاغي رسالة كلامية وعملاً فنيّاً في آن معاً.

---

(٤٩) نفسه ١/ ٤١٨ .

(٥٠) نفسه ١/ ٤١٨ .

(٥١) نفسه ١/ ٤٢٢ .

(٥٢) نفسه ١/ ٤٢٣ .

(٥٣) انظر هذه الأغراض وأمثلته عليها فيه نفسه ١/ ٤٢٠-٤٢٢.

وغاب هذا المبحث تماماً عن كتاب الصاحبي ،أما السكاكي، فقد قال ما نصّه:« إنه سبق ذكر حروفه في علم النحو»[٥٤]، ثم نبّه على نوع من الكلام صورته صورة النداء وليس بنداء، تلك الصورة هي قولهم: أما أنا فافعل كذا أيها الرجل، يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص، ، ثم تحدث عن خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر[٥٥].

هـ- التمني:

لم يُسهب ابن الشجري في دراسة أسلوب التمني، وكان همّه موجهاً إلى إثبات عدم خبرية التمني، فدلّل على ذلك بأمرين؛ الأول: أن التمني مما أجابته العرب بالفاء... كما جاء في التنزيل: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[النساء:٧٣]، والفاء لا يُجاب بها الخبر الموجب إلّا في ضرورة الشعر... والأمر الآخر: أن التمني لا يحتمل التصديق والتكذيب، فلو « قلت: ليت لي مالاً، لما عورضت بتصديق ولا تكذيب».[٥٦] ثم عرض بعض الشواهد يحللها ويبين الفرق بينها وبين التحضيض.[٥٧]

وابن الشجري يتجاوز ابن فارس الذي اكتفى بالقول: التمني قولك: وددتك عندنا؛ ثم نقل رأي بعضهم بأنه من الإخبار؛ لأن معناه (ليس) إذا قال القائل: (ليت لي مالاً) فمعناه: ليس لي مال، وآخرون يقولون:« لو كان خبراً لجاز تصديق قائله أو تكذيبه».[٥٨]

---

(٥٤) مفتاح العلوم ص ٤٣١.

(٥٥) انظره نفسه ص٤٣١ .

(٥٦) انظر الأمالي ١/ ٤٢٧ .

(٥٧) انظر هذه الشواهد وتعليقاته عليها فيه نفسه ١/ ٤٢٦-٤٢٨ .

(٥٨) انظر الصاحبي ص٣٠٣- ٣٠٤.

إن مبحث التمني عند ابن فارس وابن الشجري عبارة عن ومضات خاطفة وسريعة، والحال لم يطرأ عليها كبير تطور عند السكّاكّي، فقد اكتفى بالحديث عن (ليت) الموضوعة وحدها للتمني، ثم عرض لحروف التنديم والتحضيض[٥٩]، بلا أي زيادة تُذكر.

ثالثاً- الالتفات:

فهم ابن الشجري أسلوب الالتفات فهماً بلاغيّاً دقيقاً يدلُّ على أصالة هذا الفن لديه ، فأشار إلى نوعين من أنواعه، وهما: أ- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: ويستدل عليه بأمثلة كثيرة منها قول الجعدي. [٦٠]:

أيا دار سَلْمَى بالحُزُونِ ألا اسْلِمِي نُحَيِّيك عن شَحْطٍ وإن لم تكَلَّمي

عفت بعد حَيّ من سُلَيمٍ وعامِرٍ تفانَوْا ودقَّوا بينهُمْ عِطْرَ منْشِمِ

يقول:« خاطب الدار بقوله: أيا دار سَلْمَى، وبقوله: اسلمي وما بعده، ثم انصرف عن خِطابها إلى إضمار الغيبة في قوله: عفت»[٦١].

ب- الخروج من الغيبة إلى الخطاب: ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وتعقيبه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ، لكنه مع هذا الفهم الدقيق له لم يُسمِّ هذا الأسلوب التفاتاً ، ولم يذكر أنواعه الأخرى، واكتفى بالنصّ على أنه «فنٌّ من التصرف متسع في القرآن وفي الشعر»[٦٢]، من غير أن يخوض في جمالياته.

(٥٩) انظر مفتاح العلوم ص٤٣١.

(٦٠) ديوانه ص١٣٧- ١٣٨.

(٦١) الأمالي ١/ ١٧٦ ، وانظر أمثلة أخرى وتعقيباته عليها فيه نفسه ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٦٢) نفسه ١/ ١٧٦.

ويظهر هنا أن ابن الشجري يقترب من ابن فارس الذي ذكر من أنواعه: الالتفات من الشاهد إلى الغائب، ومن الغائب إلى الشاهد، وذكر أنواعاً أخرى من أشكال الخطاب(٦٣)، ومن هذا وذاك وغيرهما استقى السّكّاكي مادته ليُثبت أنّ «الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويُسمّى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني، ثم يشير إلى ما كان الزمخشري (ت٥٣٨هـ) قد أشار إليه من أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد...»(٦٤).

رابعاً- القلب:

فهم ابن الشجري أسلوب القلب فهماً دقيقاً ينمّ على حسّ بلاغي رفيع، فأشار إلى اتساعه في الكلام حتى استُعمل في غير الشعر، ثم عرض شواهد وأمثلة له من المنظوم والمنثور، محلِّلاً ما فيها، ومشيراً إلى موضع الشاهد، ووجه الاستشهاد ،من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[الحاقة :٣٢] يقول: « هذا من المقلوب وتقديره: اسلكوا فيها سلسلةً »(٦٥)، ثم يعرض أمثلة شعرية ونثرية كثيرة ، يحللها ويبين وجه الاستشهاد بها(٦٦) .

وابن فارس يتحدث عنه حديثاً قصيراً مقتضباً، فيُدخل فيه القلب في حروف الكلمة، ثم يتناوله بمفهومه البلاغي فيسرد مجموعة من الشواهد لكن

(٦٣) الصاحبي ص٣٥٦- ٣٥٧.

(٦٤) انظر مفتاح العلوم ص٢٩٦، والكشاف ١/ ١٢٠.

(٦٥) انظر الأمالي ٢/ ١٣٥.

(٦٦) انظر هذه الأمثلة فيه نفسه ٢/ ١٣٤-١٣٧.

بلا أي جهد له يُذكر في التحليل والتعقيب إلاّ فيما ندر(٦٧)، وبذلك يتأكد أن هذا البحث قد تطور على يدي ابن الشجري، إذ يكفيه أنه حشد هذا القدر الكبير من الشواهد والأمثلة وشرحها وعقّب عليها بما يؤكد وعيه ودقة فهمه له، وبما يُثبت أنه تجاوز ابن فارس، ويثبت أيضاً إضافته إلى البلاغة بما يُحسب له.

وإذا ما امتدت المقارنة إلى السكّاكي فسنرى أنه سمّاه قلباً، ودرسه على أنّه شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر، وأنه مما يورث الكلام ملاحة، ثم أشار إلى بعض أمثلته (٦٨) بما لا يتجاوز في هذا النطاق ابن الشجري.

خامساً-التغليب:

تُعَدّ دراسة ابن الشجري للتغليب من اللفتات الغنية القيمة، وذلك لأسباب، منها: تحديدُه ماهية التغليب ، عندما قال : «... أجروا المختلفين مجرى المتفقين بتغليب أحدهما على الآخر»(٦٩)، وإظهارُ دواعي استعماله ، ثم ثراءُ قائمة الشواهد والأمثلة التي استدل بها.

يقول: « وقالوا للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعُمر رضي الله عنهما: العُمَران، غلّبوا القمر على الشمس لخفة التذكير، وغلّبوا عمر على أبي بكر، لأن أيام عمر امتدت فاشتهرت ...»(٧٠) ، وعلى هذا المنوال يسير ابن الشجري فيثبت الأمثلة، ثم يبين موضع التغليب فيها ودواعيه.

ولو قورن بابن فارس في هذا المبحث لثَبُت تفوق ابن الشجري من ناحية أن ابن فارس لم يُسمّه، وأنه ذكره تحت (باب الاسمين المصطحبين) ، ونقل عن

(٦٧) انظر الصاحبي ص٣٢٩-٣٣٢.

(٦٨) انظر مفتاح العلوم ص٣١٢-٣١٣.

(٦٩) الأمالي ١/ ١٩.

(٧٠) انظر الأمالي ١/ ١٩- ٢٠، وأمثلة أخرى فيه نفسه ٢/ ٤٢٤- ٤٢٥.

غيره في هذا الخصوص، فقال:« أخبرنا عليّ بن إبراهيم، عن عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عبيد، قال: قال الأصمعي: إذا كان أخَوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُميا جميعاً باسم الأشهر... وغير ذلك من الألقاب كقولهم لعَبْس وذبيان الأجربان...»(٧١).

والسّكّاكي لم يزد كثيراً على ما جاء عند ابن الشجري، فضلاً عن أنه لم يُعرّفه، ولم يُشر إلى أنه يغلب في التثنية، وإن كان قد أورد بعض الأمثلة للتغليب في المثنى؛ فمن أمثلته عنده: «أبوان للأب والأم، وقمران: للقمر والشمس، وخافقان: للمغرب والمشرق، لكنه لم يحدد دواعي هذا التغليب على خلاف ما فعله ابن الشجري. ثم عرض مجموعة من الشواهد جاء منها: تغليب الأكثر، وتغليب الأنثى على الذكور، وتغليب الخطاب، والعاقل»(٧٢).

سادساً- الحذف:

أفرد ابن الشجري للحذف سبعة عشر مجلساً ابتدأها بالمجلس التاسع والثلاثين وانتهى منها في المجلس السادس والخمسين، فضلاً عما نثره هنا وهناك بين دّفتي كتابه(٧٣) من أنواع للحذف كانت ترد في سياق حديثه، وقد امتازت دراسته بمجملها بالدقة والمنهجية والموضوعية، بدأها بعرض أنواع المحذوفات(٧٤) ثمّ بالشرح الموسّع والتحليل.

(٧١) انظر الصاحبي ص١٢٠- ١٢١.

(٧٢) انظر مفتاح العلوم ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٧٣) انظر الأمالي – على سبيل المثال لا الحصر- ١/ ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٦، و٢/ ٣٨، ٣٩، و٣/ ١٠٩، ١١٣، ١٧٨ وغير ذلك.

(٧٤) ذكر تحت عنوان (الحذوف الواقعة بالأسماء والأفعال والحروف) ثلاثة عشر ضرباً . انظر تفصيل ذلك في الأمالي ٢/ ٦٠.

ثم يتحدث عن الحذف الواقع بالفعل(٧٥)، والحذف الواقع بالحروف(٧٦). ثم يبدأ بتفصيل هذه الأنواع نوعاً نوعاً، فيعرض لها، ويستشهد عليها بشواهد وأمثلة يحلّلها تحليل العالم النحوي العارف الخبير بلغة العرب وقواعدها، فيشير إلى أدقّ أنواعها، ويدخل في تفصيلاتها بما لا يترك فيه زيادة لمستزيد.

وسنمضي سريعاً نحو آرائه البلاغية، فيتبين أنه لم يلتفت إلى المعاني البلاغية التي يحققها هذا الأسلوب، وكأنّ الحذف يرد لديه لمجرد الحذف،أو أقصى غاية منه تجنب طول الكلام كما في حديثه عن حذف الخبر وحذف المفعول(٧٧)، أو للعلم به والتخفيف كما في حديثه عن حذف النداء(٧٨). وأبرز ما يهتم به هو الاختصار، وهو لديه «من أفصح كلام العرب، لأن المحذوف كالمنطوق به، من حيث كان الكلام مقتضياً له، ولا يُكملُ معناه إلاّ به»(٧٩).

وهكذا ينتهي ابن الشجري من بابه وقد حشد كثيراً من الأنواع المدعومة بالشواهد تناولت حذف الحركة والحرف والكلمة والجملة والجمل.

أما ابن فارس فقد رأيناه يفُرد باباً (للحذف والاختصار) وآخر (للإضمار)(٨٠) تناول في الأول بعض شواهد الحذف وأمثلته ولكنه لم يُبين نوع

(٧٥) نفسه ٢/ ٧٩ وما بعدها.

(٧٦) نفسه ٢/ ١٢٨ وما بعدها.

(٧٧) انظر حديثه عن هذه القضايا فيه نفسه ٢/ ٦٢ ، ٦٦.

(٧٨) نفسه ٢/ ٦٦، ٧٣، ٧٧، ٢٩٢.

(٧٩) نفسه ٢/ ١٢٣.

(٨٠) انظر هذين البابين في الصاحبي ص٣٣٧ و٣٨٦.

المحذوف[٨١]. وفي الباب الثاني تحدث ابن فارس فيه عن إضمار الأسماء والأفعال والحروف، ثم ألحق به مبحثاً سماه (باب من الإضمار الآخر)[٨٢] واستدل على كل هذه الأنواع بما يؤكد فهمه ودقته في دراسة هذا الأسلوب وفي إظهار نوعه ، لكن لم يكن له أي جهد يذكر في الإشارة إلى أي غرض بلاغي، وبذلك تبقى دراسة ابن الشجري أشمل وأعمق وأوسع استدلالاً وتمثيلاً.

وكتب البلاغة اللاحقة لم تزد على ما جاء عند ابن الشجري لا تفصيلاً ولا توجيهاً، وكل ما يذكر لهم إضافتهم نوعاً آخر إلى الإيجاز، وهو إيجاز القصر[٨٣] ، وهذا السكاكي يفصّل في عرض أغراض المحذوفات، فيشيرإلى جملة من الأغراض البلاغية في دراسته حذف المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل (المفعول به). [٨٤]

سابعاً- التكرار:

فهم ابن الشجري أن التكرار البليغ ما يرد لتحقيق لطائف بلاغية ، وهذه اللطائف ذكر منها: التعظيم وذلك عند تعقيبه على بيت الخنساء [٨٥]:

(٨١) انظره نفسه ص٣٣٧.

(٨٢) نفسه ص٣٩٢.

(٨٣) ثمة إشارات مبكرة سريعة إلى هذا النوع في البيان والتبيين ١/ ١٠٧، ١١٥-١١٦، ١٤٩، ١٥٥ ، وفي كتاب الصناعتين ص١٨١ .

(٨٤) انظر تفصيل ذلك على الترتيب في مفتاح العلوم ص٢٦٥-٢٦٦، و٣٠٥-٣٠٧، و٣٣٤-٣٣٥، و٣٨٨.

(٨٥) ديوانها ص ٤٧ ، والبيت في الأمالي ١/ ٣٦٨ .

تَعَرَّقنـــي الـــدهرُ نَهْـــساً وحَـــزَّا وأوْجَعَنـــي الـــدَّهرُ قَرْعـــاً وغَمـــزا

فيرى أنها « كررت لفظ (الدهر) ولم تضمره تعظيماً للأمر» (٨٦).

و**التوكيد**: وهذا الغرض تحدث عنه عند ذكره لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة :١٠]، فهو يرى أن أحد وجهي تكراره أن يكون توكيداً ، كتكرير الجمل للتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح:٥-٦]، وكقول الخنساء: (٨٧)

هَمَمْـتُ بنفـسيَ بعـض الهُمُـومِ فـــأولى لنفـــسي أولى لهـــا

وهـو لا يقتصر في بحث التكرار على اللفظ وحده، بل يتجاوز ذلك إلى الإشارة إلى تكرير الجملة، وتكرير ثلاث جمل، مستدلاً على كل ذلك بشواهد من نظم العرب(٨٨).وعلى هذا المنوال يسير فيشير إلى غرض التفخيم، ويظهر هذا مثلاً في قولك « لمن تعنفه بقبيح تكرر منه، وتنبّهه على تكرير عفوك عنه: قد صفحت لك عن جُرْم وجُرمٍ وجُرْمٍ... »(٨٩) ، و يجمع بين غرضي التفخيم والتعظيم؛ كما في تعقيبه على قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ ﴾[الواقعة:٨-٩] يقول: «كرر لفظ أصحاب الميمنة تفخيماً لما يُنيلهم من جزيل الثواب، وكرر لفظ (أصحاب المشئمة) تفخيماً لما ينالهم من أليم العذاب»(٩٠).

---

(٨٦) الأمالي ١/ ٣٧٠ .

(٨٧) شرح ديوانها ص٧٣. وفيه (كل الهموم).

(٨٨) الأمالي ١/ ٣٧١- ٣٧٣، وانظر هذه الشواهد ثانية فيه نفسه ٣/ ٨٨.

(٨٩) نفسه١/ ١٤- ١٥.

(٩٠) نفسه ١/ ٣٧١ .

ونظرة إلى ما جاء عند ابن فارس تؤكد حضور ابن الشجري البلاغي، فقد اكتفى الأول بتأكيد أنه « من سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»(٩١)، ثم تحدّث عن تكرار بعض العبارات في رؤوس أبيات كثيرة، وجاء بشاهد واحد لتكرار المفرد، ثم بيّن الغرض من تكرار الأنباء والقصص في كتاب الله تعالى بأنه جاء إظهاراً للتحدّي والعجز عن الإتيان بمثله(٩٢). أما السّكّاكي فقد سكت سكوتاً تامّاً عن هذا الأسلوب.

وبعد؛ فهذه صحبة قصيرة مع ابن الشجري، صُحب فيها بلاغيّاً في أماليه، ووُقف فيها عند بعض الاهتمامات البلاغية في علم المعاني التي درسها دراسة مستفيضة، أو أشار إليها إشارات خاطفة وعقّب عليها أحياناً بما يدلّ على غزارة علمه، ودقة فهمه، وسلامة ذوقه الأدبي، وبما يستحق به أن يعدّ من رجالات البلاغة والباحثين في مجمل مسائلها.

ولابد من القول هنا : إنّ في كتاب الأمالي قضايا بلاغية أخرى تندرجُ في علمَي البيان والبديع، وقد أُغفل ذكرها ههنا؛ لأنَّ ذلك مما ينوء به البحث والبحثان؛ بل يحتاج إلى كتاب للكشف عمّا بين دفّتيه من كنوز بلاغية، وقد يجود الزمان بأن نلمَّ به ثانية، أو يهدي الله أحد الباحثين إليه فينكشف للبلاغة من ذلك خير كثير وعلم وفير .

(٩١) انظر الصاحبي ص٣٤١.

(٩٢) نفسه ص٣٤٣.

المصادر والمراجع

- أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، تح: د.محمود محمد الطناحي، ط: مكتبة الخانجي- القاهرة، تاريخ بلا.
- إنباه الرواة على أنباهِ النحاة: جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي ، تح: علي محمد عمر، ط مكتبة الخانجي- القاهرة، تاريخ بلا.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- ديوان النابغة الجعدي، حياته وشعره، د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.
- شرح ديوان الخنساء، دار التراث- بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- الصاحبي: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، تاريخ بلا.
- كتاب الصناعيين: أبو هلال العسكري، تح: البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. مطبعة عيسى الحلبي، تاريخ بلا.
- الكشّاف: الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٨م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- معجم الأدباء: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.
- مغني اللبيب: ابن هشام، تح: د.مازن المبارك، وعلي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٥، بيروت ١٩٧٩م.
- مفتاح العلوم: السّكّاكي، تح: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: كمال الدين بن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، تاريخ بلا.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، تاريخ بلا.